مفهوم الإله التوراتي وحاكميّة العقل القُرآني

م .د عواد قاسم رسن/جامعة المستنصرية/كليّة التربية/قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

التخصص الدقيق : أديـان

Awad qasim Rasan

هاتف07713126377

إيميلawad.qasim@uomustansiriyah.edu.iq

2026 م

ملخص البحث:

مفهوم الإله في كتاب التوراة اليهودي بِأسفاره الخمس، محل جدال ونقاش بين الكتّابِ والمؤلفين، لِشدّة الإجمالِ والغموض في النصوص التوراتيّة، وتناقض النصوص فيما بينها، وحين الإطلاع على واقع تلك النصوص، نجدها تعطي مفهوما للإله غير المفهوم القرآني ولا تنطبق عليه القواعد العقليّة والمنطقيّة، الّذي ينبغي أن يكون عليه الإله من الصِفات الكماليّة، التي ينفرد بها، والتي تتناسب وطبيعة الإله الموصوف بالربّ الخالق الكبير الرحمن الرحيم، الّذي ليس كمثله شيء ولا يُحيط بهِ شيء، قويٌّ قادرٌعزيزٌ حكيمٌ عادلٌ كبيرٌ، لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم، تلك الصِفات التي يقبلها العقل البشري ويستدل عليها منطقيّا وفلسفيّا، لعدم مُعارضتها لِأحكام العقل ومُدركاته وقواعده القطعيّة.

وما ذلك الإجمال والضبابيّة لمفهوم الإله لدى اليهود، إلّا بسبب تناقضات تلك النصوص التوراتيّة، والتدخّل البشري الحاخامي في تحريف النصوص، لِأسباب تأتي في محلها.

ومِن هنا أخذ الفكر اليهودي من الناحية العَقَديّة، يتضيّق وينزوي في مجال الحوار الفكري والعَقَدي بين العلماء والمُفكرين، ولم يستطع الدفاع عن نفسه وعن عقائدهِ الأساسيّة، في الأوساط العلميّة والثقافية، خصوصا بعد الإنفتاح الكبير في المجتمعات والشعوب وتحقيق الطفرة النوعيّة العلميّة والمعرفيّة في شتّى المجالات، وحصول التلاقح المعرفي والفكري بين الديانات والعَقائد، وعقد المؤتمرات المُعمّقة والموسّعة، بين علماء الأديان وإنتشار المؤلفات وكشف المستور والمكنون في كُتب الأديان، بعد أن كانت ممنوعة الظهور والكشف. كُلُّ ذلك إدّى الى التسائل عن جميع تفاصل وجزئيات نصوص الأديان، والتي منها كتاب (التوراة)، بِأسفاره الخمس(التكوين والخروج واللاويين والتثنية والعدد) وهي الأسفار الأولى من أسفار العهد القديم. فتلخّص لدينا مجموعة مفاهيم ترتبط بالبحث، أهمها:

أولا:

ثانيا:

ثالثا:

رابعا:

خامسا:

تمهيدٌ:

الإله في مفهوم الدّين والشريعة، يُشكّل الركيزة الأساسيّة للإعتناق والإيمان، والمُحركيّة الأولى لإمتثال الأحكام الشرعيّة وتعاليمها، فلا دين ولا شريعة، دون إله خالق موجد مُشرّع. فالإنسانُ في فطرتهِ الأولى يبحث عن الموجد، وأسبابِ الإيجاد، والغايةُ منَ الإيجاد، وجميعها تتوقّف على معرفة الموجد الحقيقي والغني المطلق، الّذي لا يشبهه شيء، قال تعالى:{يَا أيُّها النَاسُ أنتُمُ الفُقَرَاءُ الَى الله وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَميد} فاطر15. وبِما أنَّ الله تعالى شيءٌ لا كالأشياء، وذات لا كالذوات، فنحتاج الى معرفة الذات الإلهيّة بِما لها من صِفاتٍ وآثار، بِمقدار ما يستطيع العقل البشري مِن التعرّف والفهم بِمعونة الله تعالى، كما في دعاء الصباح الوارد عن الوصي علي(عليه السّلام):(يا مَن دلَّ على ذاتهِ بذاته وتنزّه عن مُجانسة مخلوقاته). وأنّ الوصول الى حقيقة الإله ممكن بِحكم العقل ومعونة الله تعالى، لِإستحالة التكليف بغير المقدور شرعا وعقلا.

وبِذلك إقتضت الضرورة الفطريّة والعقليّة، معرفة صفات الإله، التي يقبلها العقل والنقل و ينفرد بِها الخالق العظيم، وتمييزه عمّا سواه، لكي يستحق الطاعة والعبادة. وكذلك من خلال صفات الإله يمكن تمييز الدّين والشريعة الحقّة، التي تستوجب الإتِّباع والتمسّك بها، خصوصا حينما يكون هناك مفاهيم متنوعة ومختلفة لصفات للإله الربّ، في نصوص الأديان الأُخرى. وما يهمُنا هنا هو معرفة مفهوم الإله في التوراة، ومقارنته بِصفات الإله القرآنيّة ومقدار تعاطي العقل والمنطق مع هذه الصفات.

وسوف نعتمد في بحثنا هذا، الموضوعيّة التامة في نقل النصوصِ التوراتيّة عن أُصولها المُعتمدة لدى اليهود، والترجمات المشهورة المُتداولة، ومناقشتها مناقشة واقعيّة موضوعيّة، بعيدة عن العواطف والميول النفسي. والغرض من هذا البحث التعرّف على حقيقة الإله الخالق لدى اليهود، ومقدار صحّة الإعتقاد به، والعمل على طبق تعاليمه، ومقدار حق الطاعة له ومعرفة أي الأدلة الحاكمة والسليمة في تحديد مفهوم الإله، لدى اليهود والإسلام، وتشخيص الخلل العَقَدي والعقلي والمنطقي في بيان الصفات الإلهيّة، ومقارنة النصوص التوراتيّة والقرآنيّة الحاكية عن الإله والتعريف بصفاته السَلبيّة والإيجابيّة.

المبحث الأوّل: مفهوم الإله التوراتي لدى اليهود

تمهيدٌ:

الغايةُ من المُقايسة بين مفهوم الإله وصفاته، في النصوص اليهوديّة، وبين مفهوم الإله وصفاته في القُرآن المجيد، هو بيان مدى إنسجام هذه الصفات في التوراة والقرآن، مع العقل ومُدركاته الّذي لا شكَّ أنَّ لهُ قيمةٌ علميّةٌ كاشفيّةٌ مُستقلّةٌ، عن المنقولات في الكُتب المُقدّسة، حتّى ذكرت الأخبار الروائيّة والنصوص القُرآنيّة، بضرورة التمسّك بالعقل والتفكّر والتدبّر، قبل الخوض في المسائل العقديّة والجدليّة والفكريّة، كما سوف تاتي.

فالتوحيدُ ليس مُجرد عنوان مُشترك بين المُعتقدات، وإنّما التوحيد ينعكس إيجابا في جميع مُجريات الحياة الإجتماعيّة، والتوحيدُ في جميعِ إشكالهِ يدعو الى توحيد الصفّ، ظاهرا وباطنا سلوكا عمليّا، للإرتباط بالخالق الصانع، الّذي يُحيي ويُميت، ويُجزي ويُعاقب، والّذي تجب طاعتهُ أولا وبالذات، وجوبا عقليّا كركيزةٍ لقبول الأعمال والمُجازات، فلا يكفي معرفة أنّ الله واحدٌ عادلٌ، ما لم تكن هُناك ثمارا حقيقيّة واقعيّة على مُستوى الفرد والجماعة، يستشعرها الناس جميعا، ويسعى الى تحقيقها، لما فيها من مصالح بشريّة عامّة، تُحقق لهُم السعادة والإستقرار، وهذا ما يطمح لهُ جميع العقلاء، ولِذا علّق إبراهيم الخليل الأمن والرزق في دُعائه على الإيمان بالله واليوم الآخر، قال تعالى**{رَبِّ إجعل هذا بَلَدا آمِنا وَرزُق أهلَهُ مِن الثَمراتِ مَن آمنَ منهُم باللهِ واليَومِ الآخر}**البقرة 126.

ومن هذا المُنطلق يجب الخوضِ في بيان مفهوم الإله في التوراة ومفهومهُ في القُرآن المجيد، وتحكيم العقل والمنطق السليم، وإعطاء الإله مفهوما وضابطة كُليّة تتناسب وطبيعة الإله المعبود، خالق الكون والوجود، وعدم ترك الصفات دون بيان واقعي يُميزالإله عمّا سواه، ولكي لا يدّعي غيره الربوبيّة، حينما تكون المسالة عائمة دون ضابطة مُحكمة، وقد أشار القُرآن المجيد في نصوصٍ كثيرة، الى بيان الصفات الإلهيّة وصفات التوحيد، وتعرّض الى خطورةِ التشكيك والإشتراك في الصفات، كما سوف ياتي باذن الله تعالى.

المطلب الأوّل: مفهوم الإله في سِفر التكوين

سِفر التكوين السِفر الأوّل مِن أسفار التوراة الخمس، التي تُنسب الى النبي موسى(عليه السّلام) وقد تناول هذا السِفر صفات الإله وتكوين الخَلق، بصورة مُضطربة ومتضاربة مع النصوص الأُخرى من التوراة، والتي اختُلف بتفسيرها علماء اليهود قبل علماء الإسلام. وأسباب هذا الإختلاف والتضارب عديدة كما سوف يأتي.

والقدر المُتيقّن من أسباب الإختلاف، بين علماء اليهود في هويّة وصفات الإله، هو عدم وجود ضابط عقلي ونقلي سليم، لمفهوم وصفات الإله، الّذي ينبغي أن يكون عليه الإله، خالق الكون والحياة، والّذي يجب أن يتصف بِها، ليستحق الطاعة والعِبادة والتسليم لهُ تسليما تامّا.

أي أنَّ مفهوم الإله الحقّ مُشوّشٌ لدى الفكر اليهودي، بسبب التفسير الحرفي للنصوص المُحرّفة الواردة في التوراة المُتداول حاليّا، وعدم تمييز صفات الإله عن صفات المخلوق، ولا يُميزون بين واجب الوجود وبين ممكن الوجود، أي أن المُشتركات بين الخالق والمخلوق في الصِفات قائمة في النصوص التوراتيّة وتفسيرات علماء اليهود. ولا يشكّل ذلك عندهُم عائقا أو مانعا في حقيقة الإله وقداسته، إذ أنَّ فكرة الإله مازالت بدائيّة في تصورِهم، ولا يُشكّل ذلك عندهم مُشكلةً أو خللا، حتّى وإن تعارض مع العقلِ والمنطق والرياضيات.

وعلى ذلك الفهم اليهودي سار النصارى أيضا في فهمِ حقيقة الإله في الديانة المسيحيّة، فرفعوا شعار التوحيد والأقانيم الثلاث(الأب والإبن وروح القدس)، بتفسيرٍ (واحدٌ في ثلاث وثلاثٌ في واحدٍ) دون إتحادٍ أو إمتزاج، ولا يعلم سرّ هذه العِبارة إلّا القائلين بِها، لكونِها لا تخضع لقواعد العقل والمنطقي والفلسفي.

وقد وردَ في سِفر التكوين6: 2: من التوراة اليهوديّة، مِن أسفار العهد القديم، وأوّل أسفار الكتاب المُقدّس عندهُم، والسِفر الأوّل من أسفار التوراة الخمس:(أنَّ أبناء الله رأوا بَناتِ الناس أنّهُنَّ حَسنُاتٌ، فإتّخذوا لِأنفسِهِم نِساء من كل ما إختاروا..). أي أنَّ لله تعالى أبناءٌ كما للبشر أبناء، ولهُم نزوة وميل نفسي وغريزي نحو البنات، وهذا يدلُّ على الفَهمِ الخاطأ لمفهوم وهويّة الإله الخالق، وأنَّ فكرةَ أبناء الله وبناته تُراثٌ موروث عن نصوص يهوديّة، وأنَّ الفكر النصراني لعقيدة الإله الثالوثي، وضبابيّة المفهوم، ليست وليدة التاريخ النصرني، بِقدر ما هو موروث عَقَدي يهودي، لهُ آثار وثنيّة، إمتدّت الى قرابة مبعث رسالة الإسلام، إذ كانت عبادة الأصنام قائمة ومنتشرة، بالرغمِ من سِبق الكثير من الأنبياء والرسل، وبيان حقيقة الإله الخالق الواحد.

ووردَ في سِفر (التكوين) نصوصا عديدة، توضّح حقيقة الإله المعبود والخالق، حتّى ترسّخ هذا الفهم لدى المُجتمع اليهودي، وأحباره ورهبانيه، وأعطو هذا الفهم المشروعيّة والقداسة التامّة.

خلق اللهُ البشرَ على صورته وشَكله:

في البِدء أنَّ صورة وشَكل الإله يشبه صورة وشكل الإنسان، الذكر والأنثى، فقد وَرَدَ في سِفر التكوين: 1: 27 (فَخَلَقَ اللهُ الإنسانَ على صورته، على صورة الله خلقهُ، ذكرا وأُنثى..). أي أنَّ الإله بنفس صورة الإنسان، لهُ قدمان ويدان وأنف وفم وأُذُن وأسنان وشَعَر وغير ذلك، من الصفات والحواس الظاهرية المُشتركة، بين الإله والبشر. هذا ما ذكرهُ التوراة في الكتاب المُقّدس[1]. لدى اليهود، وفي الصفحةِ الأولى من كتب العهد القديم من سِفر التكوين.

وبذلك نفهم أن لا مُشكلة في النصوص التوراتيّة، وغيرها من أسفار العهد القديم والتلمود أيضا، التي تُقارن بين الخالق والمخلوق، إذ أنَّ التشابه بينهُما، لا يُشكّل عندهُم خَلَلا عَقَديّا، مادام ذلك مُصرّح بهِ في نصوص كتابهُم المُقدّس، فلا مُشكل عندهُم مخالفة النصوص للقواعد العقليّة والمنطقيّة القطعيّة، فالنصوص وتفاسير الأحبار حاكمةٌ على العقل والمنطق.

وكما ترى أنّها عبادة عمياء تدعو الى توقّف العقل البشري ولا يُسمح لهُ إبداء الرأي، على ضوء الثوابت العقليّة والبراهين المنطقيّة، وهذا تجميدٌ للعقل لدى اليهود حينما يتعارض مع نصوص الكتاب المقدّس.

وللموضوعيّة نقول: للأسف أنَّ هذا الفَهم لصورةِ الإله قد سَرا الى بعض المذاهب الإسلاميّة، وللسببِ نفسه، وهو ورود ذلك التشبيه بين الله ومخلوقاته، في بعض النصوصِ الواردة عن بعض المصادر، والمنسوبة شُبهةً الى النبي الأكرم(صل الله عليه وآله)، من قبيل ما وردَ عن البخاري عن أبي هريرة عن النبي الأكرم، أنّهُ قال: (خلق اللهُ آدمَ على صورته، طولُهُ ستونَ ذِرَاعا...)[2]. وما رواه مُسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال: قال الرسول الأكرم: (إذا قاتلَ أحدكُم أخاهُ فليَجتَنِب الوجهَ فإنَّ الله خَلَقَ آدم على صورته)[3].

ويؤكّد إبن تيمية هذا المعنى التجسيمي، بأنَ الصورة والضمير عائد الى الله تعالى، قال:(وكما أنّهُ لابُدَ لكلِّ موجود من صفات تقوم به، فلابُد لكلَ قائم بنفسه من صورة يكون عليها، ويمتنع

---

[1]- الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، مصر، ط1، 2002م.
[2]- صحيح البخاري، حديث6227.
[3]- صحيح مسلم، حديث2612.

أن يكون في الوجود قائمٌ بنفسه ليس لهُ صورة يكون عليها...ولم يكن في السلف من القرون الثلاثة نزاع في أنَّ الضمير في الحديث عائد الى الله تعالى)[4].

وزاد إبن قتيبة بقوله: (الصورةُ ليست بِأعجب من اليَدين والأصابع والعَين، وإنّما وقع الإلَف لتلكَ لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه، لِأنّها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منهُ بكيفيّة ولا حدٍّ)[5]. ولعلَّ ذيل كلام إبن قتيبة، أشبه بالإستدراك الّذي فيه شيء من النظر والتأمّل، إذ أنّ قوله ـ ولا نقول بشيء منهُ بكيفية ولا حدّ ـ يجعلنا أن نقول أنَّ عدم المحدوديّة وعدم الكيفية، أمّا أنّهُ قد صدر عنكم من مُنطلق العقل والمنطق، أو أنّهُ مُجرد دعوى بلا دليل، والواقع يشهد أنّ عدم المحدودية وعدم الكيفيّة، صدرت عنكم بِحكم التردد في المسألة، وإلّا فالروايات التي يستندون عليها، قد ذكرت أن الله تعالى قد خلق صورة الإنسان على صورته، وأنّ طولها ستين ذراعا...، فلماذا يؤمن بشئ من الرواية ويكفر بشيء منها، ولو دققنا النظر والتأمل، لرئينا أن العقل والمنطق والوجدان ترفض هذه الروية والصورة للإله الخالق، الّذي لهُ صفاتهُ الخاصة التي لا يُشاركهه بها أحد.

بل إزدادوا توهما وشُبهةً من ذلك، وتمسّكوا بتصريح أحد العُلماء أنّهُ قد شاهد الله تعالى (مائة مرّة)، ويجعلون لذلك تفسيرات مُعيّنة، لِأجلِ أنّ يعطوا فهما صحيحا ومقبولا لهذه الدعوة. وذلك لصعوبة إخضاع النصوص، لِحُكمِ العقل ومُدركاته، فيُخطِّئون العقل لِأجلِ تصديق النصوص، مُتناسين دعوة القُرآن الكريم الى التفكّر والتعقّل والتدبّر، وإعطاءهُ مساحة كافية قبل الخوض في الصفات والمُعتقدات والتسليم التام.

ومنهُ يُفهم أنَّ هُناك روايات دخيلة على الإسلام، دُسّت بشكلٍ مقصود أو غير مقصود، بِفعلِ التعايش والإحتكاك التاريخي بين المُسلمين والأديان الأُخرى، وما ذلك إلّا بسبب الأُنطباع الذهني لدى المُجتمع اليهودي المُتاثّر بالمُعتقدات الوثنيّة، وصعوبة الإنسلاخ عن الجسميّة والصورة.

وقد كشف لنا القُرآنُ المجيد حال اليهود الّذين خرجوا مع موسى(عليه السلام) وشاهدوا مُعجزة إنفلاق البحر لهُ وظهور اليابسة، ورجوع الماء على جنود فرعون، ولكن بِمجرّد أن صعد موسى الجبل لأخذ الألواح والتعاليم، وتأخّر أربعين ليلة، حاولوا قتل هارون ما لم يوافق على طلبهم، فصنعوا العجل ليعبدوه. أمّا إيمانهم بموسى، فكان خوفا من فرعون، وصعوبة العيش مع غير جنسهم، أكثر ممّا هو إيمانٌ بموسى، وإلّا فإنّ الوثنيّة صفة مُلازمة لهُم تاريخيّا.

---

[4]ـ نقض أساس التقديس، أحمد بن تيمية،تحقيق موسى سليمان، مكتبة العلوم والحِكم،السعودية،ط1، 1425هـ، ج3، ص202.

[5]ـ تأويل مختلف الحديث، عبدالله بن مسلم بن قتيبة،ت276هـ، تحقيقسليم بن عيد الهلالي،دار ابن القيّم، الرياض،ط2، 1430هـ -2009م، ص221.

أمّا قول إبن تيمية، من أنّهُ لا يوجد في الوجود، من هو قائم بنفسه، دون أن تكون لهُ صورة، فهذا القول ليس على إطلاقه تامٌ، وأنّ المُشكلة والإشكال ليس على الصوة بما هي صورة للإله بِقدر ما هي ـ المشكلة ـ هيئة ومعنى الصورة، فالأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) تصفُ أنّ الله ذاتٌ وشيءٌ ولهُ وجودٌ وصورة، ولكن صورة لا كالصور التي لها أوصافها المحسوسة والمُشخّصة، وأنّهُ شيء لا كالأشياء، وذات لا كالذوات،،،.

المطلبُ الثاني: التوراة تصف الإلهَ بالضعفِ والدُنو

بسبب التصوّر الخاطأ للذهنيّة اليهوديّة، والتشبّع بالمحسوسات الماديّة، وطول إحتكاكهُم بالأقوام والمُعتقدات الوثنيّة، إتّبعوا نصوصا تُصوّر لهُم أنَّ البشرَ صارع الإله وغلبهُ.

أو أنَّ الله يحسد البشر، كما في سِفر التكويم11: 1-9 وأنَّ سبب حَسدُ الله لهُم، أنّهُم كانوا لسانا واحدا ولغةً واحدةً، مُتفقون، وأرادوا بناء مدينة وبرجا، فحسدهُم الله لكي لا يسمع أحدهم لسانَ بعضٍ. ويُعتبر هذا سببٌ في تكاثر الشعوب، ولِذا سُمّيت بابل، لِأنَّ الله بلبل لسانهُم وبددهُم في كل الأرض.